المنظمة الدولية للقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري (ايفورد)

INTERNATIONAL ORGANIZATION FOR THE ELIMINATION OF ALL FORMS OF RACIAL DISCRIMINATION (EAFORD)

www.eaford.org

مكافحة التمييز العنصري في معالجة أصوله الجوهرية وظاهرة التقدم والتخلف

السيد رامس شندرا والسيدة إديث بلنتاين

رئيس وسكرتيرة اللجنة التحضيرية الخاصة بالعنصرية والتمييز العنصري وإنهاء الاستعمار

هيئة الأمم المتحدة - جنيف

تحية...

كان اجتماع أول ديسمبر ذو طابع خاص بحضور السيد أحمد بن بلة، حيث استفاد المجتمعون بآرائه وتجاربه الواسعة فيما يتعلق بالعنصرية والتمييز العنصري ومكافحة الاستعمار، وإكراما لضيفنا الهام قرر المجتمعون التحدث باللغة الفرنسية الأمر الذي جعل متابعة بعضنا للنقاش صعبة وغير مثمرة ولعلي كنت من بينهم. وقد ساءني عدم تمكني من حضور الجلسة المقبلة المقررة في 12\16 لمتابعة هذا النقاش التحضيري الهام وذلك لتواجدي في هذا التاريخ بالولايات المتحدة، لذا رأيت أن أرسل هذه الرسالة متضمنة بعض الآراء قد تجدون فيها ما يمكن عرضه على المجتمعين في اجتماعكم القادم. مما لا شك فيه أن العنصرية والتمييز العنصري في جميع تطوراته كانت له دائما آثاره السلبية على المجتمع البشري في جميع العصور والأحقاب الأمر الذي يتطلب من مجتمعنا الحديث ونحن في أواخر أيام القرن العشرين وقفة جادة، مخلصة وصريحة نواجه فيها أنفسنا ونقاط ضعفنا حتى نستطيع أن نخلص العالم من هذه الآفة الخطيرة على مستقبل أجيالنا القادمة. إنه الامتحان الأكبر لمدى شعورنا بالمسئولية أفرادا وجماعات في ظل وتحت رعاية هذه المؤسسة الدولية العظيمة التي ارتضينا أن تكون وسيلتنا لسلامة ورفاهية هذا الكوكب، ألا وهي هيئة الأمم المتحدة.

وإن أول ما يتبادر إلى الذهن فيما يتعلق بالعنصرية والتمييز العنصري هو انها ظاهرة رافقت المجتمع البشري منذ فجر التاريخ وترتبت عنها كثيرا من المآسي والفواجع لعل أقربها إلى الذهن محاولة

إفناء الهنود الحمر عندما اكتشف الأوروبيون البيض قارة أمريكا واستغلالهم الأفارقة السود وإهدار آدميتهم بتلك الصورة القاسية المهينة التي يندى لها جبين الإنسانية. ويبدو أن هذه الظاهرة قديمة قدم الإنسان نفسه حتى أن بعض القصص الدينية الواردة في الكتب المقدسة تحدثت عنها وجعلتها أساس الشر في هذا الكون < فالشيطان > باعتباره رمزا للشرور في هذا الكون هو أول من قال لربه في تحديه للإنسان < أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين > وكانت نهاية الرواية هي خروج آدم من الجنة كما جاء في القصة الدينية المعروفة.

ومع ذلك فالذي يبدو الآن أن حركة التاريخ تحدثنا بوضوح أن هذه الظاهرة في أصلها العرقي أو الديني أو اللوني قد بدأت تنحسر شيئا فشيئا من العالم وبدأ يحل محلها التمييز على أساس الغنى والفقر والشعوب المرفهة والشعوب المسحوقة، المتقدمة والمتخلفة. فالشعوب الغنية المرفهة التي تقدمت حضاريا وسيطرت على مصيرها عن طريق العلم والمعرفة والتكنولوجيا الحديثة نراها بصفة عامة تنظر بازدراء أو على الأقل باستعلاء إلى الشعوب التي تعثرت خطواتها في هذا السبيل. والذي زاد الأمر سوءا هو أن هذه الشعوب المتقدمة صارت تستغل الظروف السيئة التي تعانيها الشعوب الأقل تقدما، وبطرق غامضة ومعقدة حالت وتحول بينها وبين فرص التقدم واللحاق بركب الحضارة. وقد أدى كل ذلك في النهاية إلى ظاهرة عدم التوازن في الأوضاع العالمية نشاهدها بوضوح في المقارنة بين الغرب والشرق والشمال والجنوب، حيث الظلم وعدم العدالة ظاهر واضح لا يحتاج الى دليل، فالإحصائيات تحدثنا أن ثلثي دخل العالم يذهب إلى ثلث سكان العالم الغربي بينما ثلث الدخل العالمي الباقي يذهب إلى ثلثي سكان العالم النامي. وحيث أن العالم قد أصبح صغيرا يمكن متابعة ما يجري في جميع أرجائه بسبب المواصلات الحديثة فإن الشعور بالظلم وعدم العدالة قد صار طاغيا وملحا لدى الشعوب النامية الأمر الذي ذهب ببعض جماعاتها إلى هجرة مجنونة إلى العالم المتقدم وقد ترتب عن ذلك آثارا سلبية سواء بالنسبة للمهاجرين أو بالنسبة للمهاجرين إليهم، ودفع ببعض الجماعات الأخرى إلى ثورة نفسية عارمة قد ظهرت آثارها الخطيرة في العنف والإرهاب الذي كانت ضحاياه دائما من الأبرياء غير المسئولين عن هذه الأوضاع الظالمة.

بعد هذه المقدمة القصيرة والتي أعترف إنها تحتاج إلى شروح مطولة فإن أغلب الظن عندي أن مكافحة التمييز يجب أن يتم عن طريق مكافحة أصوله الجوهرية في الفقر والغنى، والجهل والمعرفة، أي التخلف والتقدم.

وعليه فيجب علينا في المؤتمر القادم المزمع عقده في أواخر هذا القرن توجيه جميع المجهودات في معالجة التمييز في أصوله الجوهرية وهي ظاهرة التقدم والتخلف، بدلا من محاولة المعالجة على أساس ظواهره الجانبية في العرق أو الدين أو اللون، ذلك أن المعالجة على الطريقة التقليدية سوف لا تخرج عن نصائح وإرشادات بعض المثاليين في المجتمع البشري سوف لن تؤثر بصفة حاسمة في الطبيعة البشرية وليس من السهل أن توضع له البرامج الفعالة المثمرة. ولكن المعالجة عن طريق إزالة التخلف الذي بزواله يزول التعالي والتمييز فهذا من الممكن أن توضع له البرامج القصيرة والطويلة الأمد إذا أدركت قيادات العالم المتقدم مصلحة شعوبها الحقيقية وصدقت نيتها في خدمة هذه المصلحة في مداها الطويل.

إن الكبار الأقوياء الذين وصلوا إلى التقدم بالعلم والمعرفة يجب عليهم أن يساعدوا إخوانهم في الإنسانية في الوصول إلى نفس المستوى إذا أردنا حقا القضاء على التمييز وما يترتب عنه. إن فكرة حجب التكنولوجيا والعلوم الحديثة عن الشعوب النامية هي أخطر دعوى تواجه العالم وتهدده بأوخم العواقب وسيحصد أشواكها العالم الغربي نفسه في المدى الطويل.

إن إزالة التخلف وبالتالي التمييز لا يمكن أن يتم بالكلمات الطيبة أو بهذه المساعدات المظهرية الإعلامية. إن ما يحتاجه العالم النامي ليس طعاما يأكله الأقوياء منهم أو سلاحا يسلطه الطغاة على

ضعفائهم. إن ما يحتاجه العالم النامي هو الوسيلة إلى النمو والتقدم وهذا لا يمكن الوصول إليه وتحقيقه إلا بالعلم ووسائل التعليم فقط .

وعليه فإن المساعدات التي تقدمها الدول المتقدمة إلى الشعوب النامية والتي يجب أن تضاعف أضعافا مضاعفة يتحتم ألا تصرف بناء على قوانين دولية إلا في إنشاء المدارس والمؤسسات العلمية والجامعات، وهذا هو الطريق لإزالة التخلف وبالتالي إزالة كل تمييز.

إن قيادات العالم المتقدم يجب أن تدرك أن ما تقوم به في سبيل إزالة التخلف في العالم وبالتالي إزالة التمييز علاوة على انه في صالح شعوبها في المدى الطويل، فإنه ليس منة أو تفضلا، بل في الواقع أداء دين سابق للشعوب النامية. ذلك ان ما تتمتع به الشعوب المتقدمة في العالم الغربي الآن هو نتيجة مجهودات جبارة وخطوات طويلة حثيثة رائعة قامت بها الشعوب النامية سابقا في الحضارات القديمة في الهند والصين وفارس وشمال أفريقيا وشمال الجزيرة العربية من كلدانيين وآشوريين وبابليين وفينيقيين وسوماريين وفراعنة ... وكما قال المؤرخ الأمريكي العظيم ويل ديورانت في كتابه القيم < قصة الحضارة > : - إن العالم الغربي يخطئ خطئا فاحشا إذا اعتقد أن ما يتمتع به اليوم من رفاهية هي نتيجة الحضارة اليونانية والرومانية ذلك ان هاتين الحضارتين هما عبارة عن تلميذ بسيط لحضارة الشرق.

أرجو ألا أكون قد أطلت عليكم، مع تمنياتي لاجتماعكم المقبل بالتوفيق والسداد.

عبدالله مصطفى شرف الدين
رئيس المنظمة الدولية للقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري (ايفورد)

1997-12-6